

القلقشنديّ والمناخ في صبح الأعشى

الأستاذ صباح محمود الحلبي

مقدمة :

في الوقت الذي كانت فيه الجيوش العربية تسدّد ضربات القاصمة لجيوش الفرنجة ، حيث تأكد النصر النهائي تحت راية صلاح الدين الأيوبي ، اندفعت الخيل المغولية تنهب الأرض نهياً متجهة نحو المشرق العربي ، نحو بغداد حاضرة الخلافة العباسية ، لتدكّ بسنابكها كل أثر حضاري قائم لها . وأي بيئة قاسية تلك البقعة من العالم (وسط آسيا) التي ترعرعت فيها قبائل التتار (على أعمال العنف والتحايل على أسباب العيش واكتساب صفات خلقية واجتماعية شاذة جعلتهم أخطر أساتذة العالم الذين عرفهم التاريخ في ميدان التخريب والتدمير)^(١) وكان المشرق العربي آنذاك مقسماً إلى دويلات وإمارات صغيرة مفككة ، تتصارع فيما بينها ، مما سهل الطريق لتلك الجحافل البشرية الجائعة لتدميرها ونهب خيراتها والسيطرة عليها .

وإذا كانت مصر قد لعبت دوراً طليعياً - على عهد الدولة الأيوبية - في صدّ جيوش الفرنجة وطردها وتحرير البقاع العربية من سيطرتها ، لكونها موحدة ومتماسكة ، بخلاف الجناح الشرقي للمشرق العربي - الذي كما ذكرنا تسوده الفوضى والاضطراب - فإنها مؤهلة لأن تلعب الدور نفسه في وقف المد التتري الجارف وتحطيمه ، على عهد الدولة المملوكية التي خلفت الأسرة الأيوبية في حكم مصر والشام .

(١) الدكتور إبراهيم أحمد العدوي - العرب والتتار - دار القلم ١٩٦٣ س ٢٥ - ٢٦

تمتد الفترة التي حكم فيها المماليك^(١) من عام ٦٤٨ هـ حيث انتهى حكم الاسرة الأيوبية وحتى الفتح العثماني لمصر عام ٩٢٣ هـ . وقد انقسمت دولة المماليك خلال تلك الحقبة إلى دولتين ، الأولى : الدولة البحرية ، والثانية : الدولة الجر كسية .

وكانت الدولة البحرية ذات قوة ونفوذ ، فقد انتصرت على التتار في معارك عديدة ، ووصل نفوذها إلى شواطئ الفرات والجزيرة شرقاً ، وبلاد المغرب غرباً ، إضافة إلى بلاد الشام والجزيرة العربية . وقد انتهت هذه الدولة عام ٧٨٤ هـ ، وبدأ عهد الدولة الجر كسية على يد برقوق بن أنص الجر كسي ، وقد انتشر الفساد والظلم في المجتمع العربي إبان حكمها ، حتى انتهت بنهاية الملك الأشرف (طرمان باي) وابتدأ الاحتلال العثماني لمصر^(٢) .

وقد عاش بماليك مصر عيشة إقطاعية مترفة ، (ويعتبر جيشهم شراً على البلاد والعباد .. لسوء أخلاقهم ونفرة نفوسهم وشدة جبروتهم)^(٣) .

ولم يقتصر ذلك على مصر وحدها ، بل شمل جميع الأمصار التابعة لهم . فهذا المؤرخ ابن طولون الدمشقي الصالح يروي لنا في كتابه (إعلام الوري) ما جرى في دمشق أيام الدولة الجر كسية فيقول : (وفي هذه الأيام ورد إلى دمشق بماليك أجلاب جراكسة وزاد بسببهم وقوف حال الناس ، وغلقت أسواق وحوانيت كثيرة من خطفهم ما يحتاجون إليه وغيره من الأطعمة والأقمشة ، ويقفون في الطرق يأخذون عمائم المارّين أو شهودهم ويأخذون ما يرونه على الدواب من الأثاث وغيره .. وغالب هذه المماليك الأجلاب كبار

(١) راجع عن أصل المماليك كتاب محمود رزق سليم (عصر سلاطين المماليك وتناجه

العلمي والأدبي) ج ١ - ١٩٤٧ مصر - ص ١٤ - ٢١ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٧ - ٧٩ .

(٣) د. نظير حسان سهداوي - صور ومظالم من عصر المماليك - مصر ١٩٦٦ ص ٦

بذقون ويبيعون ما يخطفونه لمن يشتريه منهم»^(١) .
كل هذا يدل دلالة أكيدة على ما وصل إليه الحكم المملوكي من فساد وانحلال
وتفشي لكثير من الأمراض الاجتماعية كالرشوة وشهادة الزور وغير ذلك .
وهذا الظلم الاجتماعي والفرضي السياسية لا بد وأن يؤدي إلى قيام ثورات
وانتفاضات شعبية ، كانت تقابل بكل عنف وقسوة ، وتختق كل الأصوات
الثائرة المطالبة بالإصلاح والعدل بين الرعية^(٢) .

الحركة الفكرية في عصر المماليك

وبالرغم من أن عصر المماليك عصر ظلمة وتأخر اجتماعي وفوضى سياسية ،
فإنه من الناحية الأخرى يمثل عصر تفوق مصر الفكري ، لكونها قد خرجت
من صراعها مع المغول والفرنجة ظافرة منتصرة ، فكانت بذلك الوارث الوحيد
للأدب العربي في المشرق . في حين كان التتار قد قضوا (على بغداد أدبياً
وسياسياً في وقت معاً .. وفتحت مصر أبوابها للاجئين إليها من العلماء والأدباء
والفضلاء)^(٣) .

(١) محمد بن طولون الصالحى الدمشقي - إعلام الورى - تحقيق محمد أحمد دهمان -
دمشق ١٩٦٤ ص ١٨٩ . وقد كتب المستشرق الفرنسي بولينك عن (طابع حكم
المماليك الاستعماري) في مجلة الدراسات الإسلامية عام ١٩٣٥ وعن (إقطاعات المماليك)
في المجلة الآسيوية البريطانية عام ١٩٣٧ - راجع نجيب العقيقي - المستشرقون - مصر
١٩٦٤ - ج ١ ص ٢٥٤ . وللاستاذ سعيد عبد الفتاح عاشور رسالة دكتوراه موسومة
ب (دراسات في الحياة الاجتماعية في مصر على عهد سلاطين المماليك) من جامعة القاهرة
- كلية الآداب ١٩٥٤ .

(٢) تمّن كتب عن تلك الثورات أيضاً - المستشرق بولينك في مجلة الدراسات
الإسلامية (الثورات الشعبية في مصر على عهد المماليك وأسبابها الاقتصادية) ١٩٣٤
- المستشرقون ص ٢٥٤ - وللاستاذ حفي عمود خطاب رسالة عن (الحركات الداخلية
في الدولة المملوكية الأولى) كلية الآداب جامعة القاهرة - ١٩٤٩ .

(٣) د. عبد اللطيف حمزة - الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي
الأول مصر ١٩٦٨ ص ٣١٥ .

وقد شمر العلماء والأدباء عن سواعدهم ، لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الثقافة العربية الإسلامية ، فصنفوا الموسوعات الثقافية الكبرى التي تميز بها العصر المملوكي ، وقد تضمنت هذه الموسوعات معلومات في الأدب والجغرافيا والإدارة والحضارة والتاريخ وجميع فروع المعرفة الأخرى ، فاهتم بمطالعتها جميع المثقفين ، ومن أشهر تلك الموسوعات المملوكية ، نهاية الأرب للنويري ، ومسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ، وصبح الأعشى للقلقشندي^(١) .

القلقشندي :

هو أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ، وقد ذكره البغدادي باسم علي بن أحمد^(٢) أما جرجي زيدان فقد نقل ما ذكره صاحب شذرات الذهب وذكر اسمه الموجود في صدر كتاب قلائد الجمان هكذا (شهاب الدين أبو العباس ، أحمد بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله سليمان بن اسماعيل القلقشندي ، المصري ، الشافعي ، الشهير بابن غده)^(٣) وهو ما جاء مثبتاً أيضاً في أول كتاب نهاية الأرب .

وقد ذكر الأستاذ كراتشكوفسكي بأنه لا يوجد اتفاق تام بين المصادر العربية فيما يتعلق باسمه ، والحلظ بينه وبين ابنه الذي كان من رجالات الأدب أيضاً . وقد ناقش هذه المسألة أيضاً الدكتور عبداللطيف حمزة في كتابه عن

(١) كراتشكوفسكي - تاريخ الأدب الجغرافي العربي - ترجمة صلاح الدين عثمان - القاهرة ١٩٦٣ ج ١ ص ٤٠٥ وما بعدها. والدكتور حمزة - المصدر نفسه ص ٣١٥ - ٣١٧ والدكتور محمد عبد السلام كفاقي - الأدب الموسوعي عند العرب في العصور الوسطى - مجلة الكتاب العربي - ع ٤٦ - ١٩٦٩ ص ١٥ - ٢٦ .

(٢) إسماعيل باشا البغدادي - هدية العارفين - استانبول ١٩٥١ - ج ١ ص ٧٢٦ .

(٣) جرجي زيدان - تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ دار الهلال - مصر ص ١٤٤

وما بعدها .

(القلقشندي) وكذلك الأستاذ إبراهيم الأبياري في مقدمة كتاب نهاية الأرب الذي قام بتحقيقه (١) .

ولد القلقشندي في عام ٧٥٦ هـ في قلقشندة ، من قرى القليوبية ، قرب القاهرة وقد ذكرها ياقوت الحموي بالراء (قرقشندة) (٢) . ووردت في كتاب قوانين الدواوين باسم قلقشندة ، وكذلك في كتاب نهاية الأرب وصبح الأعشى (٣) . وينتمي القلقشندي إلى قبيلة فزارة العربية ، وبنو فزارة - كما ذكر في كتاب النهاية - بطن من ذبيان من غطفان من القحطانية ، كانت (منازلهم) بنجد ووادي القرى وقد سكنت هذه القبيلة مصر منذ الفتح العربي .

نشأ القلقشندي في دار علم وأدب ، وما إن صلب عوده ، حتى ولّى وجهه شطر الإسكندرية ، لينهل العلم على أكابر علماء عصره ولما أبداه من علم وذكاء وتفتح ، فقد أجازته الشيخ سراج الدين أبو حفص عمرو بن أبي الحسن المشهور بـ (ابن الملقن) ، بالفتيا والتدريس على المذهب الشافعي وبأن (يروي كل ما جازت له روايته كالكتب الصحاح الستة ومسند الشافعي ومسند أحمد بن حنبل وغير ذلك من الكتب التي هي أصول الفقه الإسلامي (٤))

ومنذ عام ٧٧٨ هـ اشتغل القلقشندي بتدريس الحديث النبوي والفقه وغيرها

(١) كراتشكوفسكي - المصدر نفسه ص ٤١٦ - ٥ . عبد اللطيف حمزة - القلقشندي (أعلام العرب ١٢) مصر ص ٣٥ - ٣٧ .

(٢) ياقوت الحموي - معجم البلدان - مطبعة السعادة مصر ١٩٠٦ ج ٧ (قرقشندة: قرية بأسفل مصر ولد بها الليث بن سعد بن عبد الرحمن المصري الفقيه .) ص ٥٨

(٣) الأسعد بن ممتي - قوانين الدواوين - جمعه وحققه عزيز سوربال عطية - مطبعة مصر - ١٩٤٣ ص ١٦٧ ونهاية الأرب للقلقشندي - تحقيق علي الخاقاني - بغداد ١٩٥٨ ص ١٦٦ و ص ٣٦١ - ٣٦٢ .

(٤) الدكتور حمزة - القلقشندي ص ٤٢ .

من العلوم الدينية ، ثم التحق بديوان الإنشاء الذي كان يرأسه وقتذاك القاضي بدر الدين ، أحد أقرباء ابن فضل الله العمري صاحب موسوعة (مسالك الأبصار) . وبقي يعمل في ديوان الإنشاء حتى وفاته عام ٨٢١ هـ (١) وبالرغم من أنه عاصر علماء مشهورين كابن خلدون وغيره ، فقد كانت له منزلة عالية بينهم ، فيذكر السخاوي بأنه (كان أحد الفضلاء ممن برع في الفقه والأدب وكتب الإنشاء .. مع تواضع ومروءة وخير .. وقال آخر إنه برع في العربية وعرف الفرائض وشارك في الفقه وسمع الحديث ونظم ونثر وأرخ) وذكره جرجي زيدان فقال (تفقه في الأدب وكان قوي الحافظة وعي في ذاكرته أهم علوم الأدب في عصره) (٢) .

مؤلفاته : أما تصانيفه وتآليفه فهي :

١ - نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب - وقد قام بتحقيقه والتعليق عليه الشيخ علي الخاقاني (صاحب البيان) عام ١٩٥٨ مع مقدمة مسببة في (الأنساب عند العرب) . أما في مصرف قد قام بتحقيقه الأستاذ إبراهيم الأبياري وقد نشرت النهاية عام ١٣٣٢ هـ في بغداد بعناية سليمان الدخيل (صاحب الرياض) . أما النسخ الخطية فتوجد واحدة في دار الكتب المصرية ، وأخرى في مكتبة الدولة ببرلين ، وثالثة في المتحف البريطاني ، ورابعة في إحدى خزائن النجف الأشرف على ما يذكره الخاقاني ، وخامسة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ، وسادسة في سوريا وسابعة في مكتبة صوفيا (٣) .

- (١) الخاقاني - المصدر نفسه ص ١٠٣ - ذ . والدكتور نقولا زيادة - الجغرافية والرحلات عند العرب بيروت ١٩٦٢ ص ١٠٣ .
 (٢) السخاوي - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع - ج ٢ - مصر ١٣٥٤ هـ ص ٨ وجرجي زيدان المصدر نفسه ص ١٤٥ .
 (٣) الخاقاني - ص ١٠٣ . وإبراهيم خوري - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية دمشق ١٩٧٠ ص ١٤٤ - ويوسف عز الدين - مخطوطات عربية - بغداد ١٩٦٨ ص ١٣٥

وقد أكمل وزاد على النهاية ، العلامة السويدي عام ١٢٢٩ هـ في كتابه (سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب) المطبوع على الحجر في بغداد (١) .
والكتاب بمثابة معجم في الأنساب ، رتب القلقشندي فيه القبائل والبطون على أحرف الهجاء .

٢ - قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان : توجد منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية وأخرى في النجف الأشرف في خزانة الشيخ حسن الدخيلي ، على ما حكاه الشيخ الحاقاني وقد نسبه صاحب كشف الظنون لوالد القلقشندي . رُتب على الحروف الأبجدية حسب تفرع القبائل .

٣ - حلية الفضل وزينة الكرم في المفاخرة بين السيف والقلم : رسالة أنشأها القلقشندي للمقر الزيني ابن يزيد الداودار الظاهري ، في الإنشاء والأدب منها نسخة خطية في دار الكتب المصرية .

٤ - الغيوث الهوامع ، في شرح جامع المختصرات ومختصرات الجوامع ، في فقه الشافعي : ذكره الحاقاني وزيادة ، والذي يبدو أنه شرح لجامع المختصرات في فروع الشافعية للمدجلي (٢)

٥ - ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر : وقد طبع الجزء الأول منه في مطبعة الواعظ بالقاهرة عام ١٣٢٤ هـ (٣) وهو مختصر لكتابه الكبير صبح الأعشى . منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية .

٦ - وله مؤلفات أخرى على شكل رسائل صغيرة منها : شرح لكتاب الحاوي الصغير في الفروع للقزويني ، وشرح على قصيدة بانة سعاد لكعب بن زهير أسماه (كنه المراد في شرح بانة سعاد) وله مقامة في تقرير القاضي

(١) كراتشكوفسكي ص ٤١٦ - زيدان ص ١٤٦ .

(٢) الحاقاني ص ٤٣ - زيادة ص ١٠٣ - الدكتور حمزة - القلقشندي ص ٤٣

(٣) الحاقاني - المصدر السابق .

بدر الدين بن فضل الله ، أسماها (الكواكب الدرية في المناقب البدرية) (١).

٧ - صبح الأعشى في صناعة الإنشا :

موسوعة كبرى في مختلف فروع المعرفة ، اشغل القلقشندي في تأليفها ما يقارب العشرين عاماً (٢) جمع فيها فأوعى كما يقول السخاوي . وقد طبع منها ثلاثة أجزاء عام ١٩١٣ في كلية اكسفورد عن النسخة الخطية الموجودة في خزانها ، ونشرت هذه الأجزاء الثلاثة في مجلد واحد بدار الكتب ببولاق عام ١٣٢٣ هـ ، ثم قامت بطبعه بعد ذلك دار الكتب المصرية كاملاً (٣).

أما النسخ الخطية من هذا الكتاب فتوجد واحدة في دار الكتب المصرية ، وأخرى في مكتبة زكي باشا على ما ذكره جرجي زيدان في تاريخه .

وقد اهتم بدراسة (صبح الأعشى) الكثير من المستشرقين ، فنشر الأستاذ سوفير في مرسيليا عام ١٨٨٦ - ١٨٨٧ (ملخصات من كتاب صبح الأعشى) ، ونشر الأستاذ فيستنفلد (جغرافية مصر للقلقشندي) في جوتنجين عام ١٨٧٩ وكتب الأستاذ مارتن هارتمان بحثاً عن (الفصول المتعلقة بالجغرافية الإدارية من صبح الأعشى) تحقيقاً ومنتأ وترجمة في المجلة الآشورية - ٥٠ - ١٩١٦ ، وكتب الأستاذ كانار عن (الصلات السياسية بين بيزنطة ومصر في صبح الأعشى) في مؤتمر المستشرقين (١٩) لعام ١٩٣٥ (٤).

وقد تناول القلقشندي في موسوعته هذه (جميع المعارف التي يحتاج إليها الكاتب المثالي ابتداء من التوجيهات الفنية بالكلام عن المداد والقلم والورق والحط إلى المعلومات الواسعة في محيط الجغرافيا والتاريخ والأدب والبلاغة ،

(١) الدكتور حمزة - المصدر السابق ص ٤٣ - ٤٥

(٢) المصدر السابق ص ٤٦

(٣) الخاقاني - المصدر السابق .

(٤) العقيقي - المصدر نفسه ج ١ ص ٢٠٧ و ص ٣٠٤ - ج ٢ ص ٧١٤ و ص ٧٢٦

وهو يقدم وصفاً لنواحي مصر والشام ، بل ولجميع الدول التي لها أدنى علاقة بمصر مما يجعل من كتابه مصدراً أساسياً بالنسبة للتاريخ والإدارة والحياة الاجتماعية للعالم الإسلامي والأقطار المتصلة به في أوائل القرن الخامس عشر (١) .

أما المصادر التي اعتمد عليها القلقشندي في تأليف موسوعته ، فكثيرة جداً منها : كتاب الأم للشافعي ، الملل والنحل للشهرستاني ، قرانين الدواوين لابن بياتي ، المثل السائر لابن الأثير ، البيان والتبيين للجاحظ ، عجائب المخلوقات للقزويني ، نزهة المشتاق للشريف الإدريسي ، تقويم البلدان لأبي الفداء ، القانون المسعودي للبيروني ، مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ، كتاب العزيزي للمهلب ، وإلى غير ذلك من أمهات الكتب العربية (٢) .

المعرفة الجغرافية عند القلقشندي :

اعتمد القلقشندي في جمع مادته الجغرافية وعرضها في صبح الأعشى على موسوعة ابن فضل الله العمري (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) فاحتلت المعلومات المقتبسة من هذه الموسوعة المكانة الأولى لديه ، وتأتي بعد ذلك كتب الجغرافيين الأوائل أمثال : ابن خرداذبة وابن حوقل والمسعودي والهمداني والمهلب والسمعاني والبكري والإدريسي والغرناطي وابن سعيد وياقوت الحموي وأبي الفداء وغيرهم بالإضافة إلى كتب الزيجات والكتب الفلكية أمثال : كتاب القانون المسعودي لأبي الريحان البيروني (٣) .

وقد احتلت المادة الجغرافية ، المقالة الثانية من الموسوعة وتحت عنوان (المسالك والممالك) بالإضافة إلى ما عرضه من معلومات تاريخية بحتة في ثناياها وخاصة الباب الثاني من المقالة بما تضمنه من معلومات عن الخلافة والخلفاء .

(١) كراتشكوفسكي ص ٤١٦ - ٤١٧ الدكتور زيادة ص ١٠٤

(٢) الدكتور حمزة - القلقشندي ص ٥٢ - ٥٣

(٣) كراتشكوفسكي ص ٤٢٠

أما الباب الاول من المقالة ، فقد تضمن معلومات تقليدية عن شكل الارض وجہاتها الاربع وأقاليمها السبعة ، ثم يعرج الى ذكر البحار و كيفية استخراج البلدان .

وقد سرد في الباب الثالث الذي قسمه إلى فصول ، جغرافية الممالك والأمصار . فتناول في الفصل الاول منه ، بلاد مصر منذ الفتح العربي الإسلامي حتى عصر المماليك ، إضافة إلى المادة التاريخية الخاصة بمصر . وقد نشر المستشرق فيستنفلد بحثاً خاصاً عن (جغرافية مصر للقلقشندي) في غوتنغن عام ١٨٧٩ كما ذكرنا آنفاً وتعتبر مادته التي كتبها عن النيل ، وتلك التي نقلها عن غيره ، من المصادر المهمة في موضوع النيل ، وخاصة في العصر المملوكي .^(١)

أما الفصل الثاني من الباب الثالث ، فقد تضمن وصف بلاد الشام ، بحاسنها وعجائبها ، بحيراتها وأنهارها ، وجبالها وزرعها ، إضافة إلى عرض تاريخي للملوك الشام من الجاهلية حتى عصر المماليك . وقد تناول موضوع وصف الشام عند القلقشندي الاستاذ غودفروا ديمومين عام ١٩٢٣^(٢) .

وبعد مقدمة تاريخية ، يتكلم القلقشندي في الفصل الثالث ، عن جبال الحجاز وعيونه ، ومحاصيله ومواشيه ، ثم يفصل الكلام عن مكة ويثرب والطائف ، في سرد تتداخل فيه الحكايات التاريخية مع المادة الجغرافية .

وقد احتلت إمبراطورية المغول (مملكة إيران ومملكة توران) وما جاورها ، ثم الاجزاء الاخرى من شبه جزيرة العرب (اليمن والبحرين واليمامة) وبلاد الهند والسند والهند ، والبلدان الواقعة إلى الغرب وإلى الجنوب من مصر ، الفصل الرابع من الباب الثالث .

وتجد في الفصل الاخير ، وصفاً لبلاد الروم (آسيا الصغرى) وبلاد الالمان

(١) الدكتور محمود رزق سليم - النيل في عصر المماليك - دار القلم ١٩٦٥ ص ١١

(٢) كراتشكوفسكي ص ٢٠٠

ومملكة البنادقة والجنوبين ورومية وفرنسا والجلالقة (غاليسيا) ولبارديا ، ثم يتحدث عن سكان جنوب شرقي أوروبا كالبلغار والصرب والصقالبة وغيرهم من الشعوب الأوربية (وتتسم معلوماته عن هذه الشعوب الأخيرة بالإيجاز كما وانها لاتخلو من الاضطراب في بعض مواضعها) (١) . وهكذا تنتهي المقالة الثانية التي تضمنت المادة الجغرافية عند القلقشندي في كتابه صبح الاعشى . وسنقتصر في الصفحات القادمة على دراسة المادة الجغرافية المتعلقة بالارض والمناخ وتحليلها .

الأرض : شكلها وتقسيمها (٢)

إن المعلومات التي أوردها القلقشندي عن شكل الأرض وأقاليمها والبحار المحيطة بها وإلى غير ذلك بما يتعلق بوصف الأرض ، إنما هي عرض لمعلومات الجغرافيين العرب وآرائهم حول الأرض ، ولذلك فهو كثيراً ما يكرر عبارة (وقيل) و (قال في تقويم البلدان) و (قال المسعودي) و (قال الشريف الإدريسي) و (قال في الروض المعطار) وهكذا . ثم يذكر أنه قد تقرر في علم الهيئة (الفلك) بأن الأرض كروية الشكل وهو الذي عليه أغلب الجغرافيين العرب (٣) وهي مسطحة الشكل وقيل كالترس وقيل كالطبيل .

ويذكر القلقشندي أن خط الاستواء ينصف الأرض إلى نصفين ؛ نصف شمالي ونصف جنوبي ، ثم هناك خط آخر ينصفها إلى نصفين ؛ شرقي وآخر غربي ، ويسمى هذا الخط (خط نصف النهار) لمسامته الشمس له في نصف النهار ، ثم يذكر بعد ذلك أن (ما بعد عن خط الاستواء المقدم ذكره يعبر عنه بالعرض فإن كان في جهة الجنوب فالعرض جنوبي وإن كان في جهة الشمال

(١) كرانسكوفسكي - المصدر نفسه ص ١٩٤

(٢) القلقشندي - صبح الأعشى في صناعة الإنشا - النسخة المصورة عن الطبعة

الأميرية - الجزء الثالث ص ٢٢٣ - ٢٥٠

(٣) Nalis Ahmed : Muslim Contribution to the Geogaphy -

Lahor- 1964 - P. 115

فالعرض شمالي) ويقصد القلقشندي هنا خطوط العرض الجنوبية وخطوط العرض الشمالية .

أما ما يسمى في الجغرافيا بخط الطول الرئيسي ، فقد ابتدأه القدماء بجزر الخالدات (١) (في المحيط الأطلسي بجوار الساحل المغربي ، جزر الكناري) ومنهم من ابتدأه بالساحل المغربي نفسه ، والذي على أساسه يحسب الزمن . ويذكر القلقشندي أن النصف الشمالي من الأرض أكثر عمارة من النصف الجنوبي ، ويتركز المعمور من النصف الجنوبي بالقرب من خط الاستواء في بعض بلاد الزنج والحبشة . ويمتد المعمور في النصف الشمالي بين خط الاستواء والدائرة القطبية الشمالية (٦٦,٥° شمالاً) .

ثم يسرد القلقشندي بعد ذلك الكلام عن الأقاليم السبعة للأرض ، بتحديد درجات العرض والطول لكل إقليم ، وهو التقسيم المثبت عليه بين الجغرافيين العرب ، ويشذ عن ذلك الجغرافي المقدسي الذي جعل الأقسام رباعيات مبرراً ذلك بقوله إن الكتب أربعة والطبائع أربع والفصول أربعة وأركان الكعبة أربعة والأشهر الحرم أربعة (٢) .

المناخ عند القلقشندي : الرياح (٣) :

قال القلقشندي إن كلمة الريح مؤنثة وتجمع على رياح ، ويذكر هنا

(١) اتخذ بطليموس خط زوال الجزائر السعيدة (الخالدات) والتي يظن أنها جزر كناري ، الخط الأساس في القياس راجع Nafis «op.cit» P. 113 ودكتور يسري الجوهري - الكشوف الجغرافية - دار المعارف ١٩٦٧ ص ٨٠

(٢) صباح محمود - الوصف المناخي عند المقدسي - مجلة الأقلام - السنة الخامسة ع ١٠ - ١٩٦٩ ص ٢٣

(٣) صبح الأعشى ج ٣ ص ١٧٥ - ١٧٧ ، وابن الأجداني - الأزمنة والأنواء =

ما ذكره الثعالبي في فقه اللغة من أن لفظ الريح في القرآن الكريم لم يأت إلا في الشر ، والرياح لم يأت إلا في الخير ، مستشهداً ببعض الآيات القرآنية كقوله تعالى (إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر ، تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر) والصرصر الريح الشديدة ذات الصوت على ما حكاه ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن . وقال تعالى في الرياح (وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) إلى غير ذلك من الآيات الكريمة ، ويروي كذلك الحديث النبوي الشريف (اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً) .

أما سبب حدوث الرياح فيذكر القلقشندي أنه (دخان يرتفع من الأرض فيضربه البرد في ارتفاعه فيتنكس ويتحامل على الهواء ، ويحركه الهواء بشدة فيحصل الريح) ولا ندري ماذا يقصد القلقشندي من كلامه هذا ، ولعله يريد بأن ارتفاع درجة الحرارة يؤدي إلى تمدد الهواء وصعوده إلى أعلى على شكل تيار هوائي يشبه عمود الدخان وبالارتفاع تنخفض درجة حرارته ، فيهب مرة ثانية ، وهذا ما يسمى بالتيارات الهوائية الصاعدة والهابطة ، أما عبارته الأخيرة (ويحركه الهواء بشدة فيحصل الريح) فهي عبارة غامضة لأن حركة الهواء بذاتها تسمى ريحاً .

أنواع الرياح :

الرياح عند العرب أربع : الصبَا والدَّبُور والشِّمال والجنُوب ، فالصبا تأتي من المشرق من مطلع الثريا إلى بنات نعش على ما حكاه ابن الأعرابي ، وتسمى بالقبول لأنها تأتي من قبَل الكعبة . أما القلقشندي فيقول إنها سميت بالقبول لأنها مقابلة مستقبل المشرق ، وقيل إنما سميت قبولاً لأنها استقبلت

= دمشق ١٩٦٤ ص ١٢٦ - ١٣٣ ، والمرزوقي - الأزمنة والأمكنة - حيدر آباد ١٣٣٢ ج ١ ص ٢١٤ - ٢١٨ وج ٢ ص ٧٤ - ٨٤ ، والثعالبي - فقه اللغة وسر العربية - مصر ١٩٣٨ ص ٤٠٣ - ٤٠٤ و ص ٥٧٣ .

الدبور ، وقال المبرد سميت قبولا لأنها لطيفها تقبلها النفوس ، وأهل مصر يسمونها الشرقية ، وهي التي نصر بها النبي (ﷺ) حيث قال (نصرت بالصبا) .
 أما الدبور فهمها من مغرب الشمس إلى حد القطب الجنوبي ، وعلى رأي ابن الاعرابي على مسقط النسر إلى مطلع سهيل ، وعند خالد بن صفوان ما بين مسقط الشرطين إلى القطب الأسفل . وسميت دبورا لأن مستقبل الشرق يستدبرها . ويقال سميت بذلك لأنها تأتي من دبر الكعبة . وتسمى أيضا الريح الغربية لهبوبها من جهة المغرب ، ويقال لها محوة لمحوها الآثار بشدة عصفها على ما ذكره ابن الأجدابي .

أما الشمال فيقال فيها شمال وشامل وشمل وشمول . ومهبا من حد القطب الشمالي إلى مغرب الشمس ، وعند ابن الأعرابي من بنات نعش إلى مسقط النسر الطائر ، وعند ابن صفوان ما بين القطب إلى مسقط الشرطين . وسميت شمالا لأنها على شمال من استقبال المشرق ومن أسماؤها الحدواء والمسع .
 أما الجنوب فهمها من حد القطب الأسفل إلى مطلع الشمس ، وعند ابن الأعرابي من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا ، وقيل ما بين القطب الأسفل إلى مطلع الشرطين . ويقال لها الريح البانية لأن مهبا مما يلي بلاد اليمن ، ومن أسماؤها الازيب والنعامي والهيف . وتسمى في مصر (القبليّة) وتسمى أيضا المريسية ، ومريس^(١) قرية بأرض مصر ، ومريس أيضا جنس من السودان من بلاد النوبة أسفل مصر ، وتأتيهم في الشتاء ريح من ناحية الجنوب يسمونها المريسي ، فهي تهب على مصر في كانون الأول ولمدة أربعين يوماً ، ويذكر القلقشندي أنها أبدأ الرياح عند أهل مصر .

أما النكباء : فهي كل ريح تهب بين مهبي ريحين ، وسميت بالنكباء

(١) شهاب الدين أحمد الحفاجي - شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل -

لتنكبا عن المهاب المعروفة والجمع نكب ، وتميل في طبعها إلى الريح التي هي أقرب إليها في مهبا.

ثم يختصر القلقشندي ما ذكره الثعالبي في فقه اللغة (في تفصيل الرياح عن الأئمة) فيذكر أنه إذا جاءت الريح بنفَس ضعيف وروح فهي النسيم ، وإن ابتدأت بشدة قيل لها النافجة ، وإن حر كت الأغصان نحر يكاً شديداً وقلعت الأشجار ، فهي الزعزع ، فإذا جاءت بالخصباء فهي الحاصبة .

أما الإعصار فهو هبوب الرياح من الأرض نحو السماء كالعمود ، والعامّة تسميه الزوبعة أو التنين^(١) أما الصرصر فهي الريح الباردة ، وأما الريح التي لم تلقح شجراً ولم تحمل مطراً فتسمى بالعقيم .

والذي يلاحظ على ما كتبه القلقشندي عن الرياح ، أنه مختصر جداً وذلك لعدم اعتماده على كتب الأنواء مثل كتاب الأزمنة والأنواء لابن الأجدابي ، وكتاب الأزمنة والأمكنة للمرزوقي وغيرها ، ومع أن القلقشندي قد اعتمد على كتاب الأنواء للدينوري ، حيث ذكره في مواضع عدّة ونقل عنه بعض المعلومات ، إلا أن هذه المعلومات تتميز بالاختصار وقلة الأهمية في الموضوع . ثم إن اختصاره لبعض الكتب - كفقه اللغة للثعالبي مثلاً - أبعداً أيضاً عن ذكر المعلومات ذات الأهمية في موضوع الرياح . وله عذره في ذلك فلو كان قد ذكر جميع الأشياء المتعلقة بالرياح من هذا الكتاب وذاك لجاءت موسوعته تضم كتباً وليس معلومات متنوعة عامة يستفيد منها كاتب الإنشاء، مقتطفة من أمهات الكتب العربية .

السحاب :

لقد عرف القلقشندي السحب بأنها الأجرام التي تحمل المطر بين السماء

(١) صباح محمود الحلي - التنين في المصادر العربية - مجلة التراث الشعبي - العدد

الرابع - السنة الأولى ١٩٦٩

والأرض ، وأورد كذلك التعريف العلمي الصحيح لها ونسبه إلى بعض الحكماء حيث قال إنه بخار متصاعد من الأرض يرتفع من الطبقة الحارة إلى الطبقة الباردة فيثقل ويتكاثف ويتعقد فيصير سحاباً^(١) . ثم ينقل عن الثعالبي أن أول ما ينشأ من السحاب هو النشء ، فإذا انسحب في الهواء فهو السحاب وإذا تغيرت له السماء فهو الغمام^(٢) ، وإذا نشأ في عرض السماء فلا تبصره ولكن تسمع رعداه من بعيد فهو العقر ، فإذا أظل السماء فهو العارض ، أما الخيلة فهي السحابة التي يظن فيها المطر ، وإذا كان السحاب أبيض فهو المزن ، فإذا هراق ما فيه قيل جهام . وهنا نعود أيضاً ونقول إن معلوماته عن السحاب مختصرة قليلة الفائدة ، فهناك الكثير من أسماء السحاب التي ذكرها الثعالبي في فقه اللغة الذي اعتمده عليه القلقشندي ، ولكن لم يوردها في موسوعته ، وكذلك كتاب المطر للأنصاري وغيرها من الكتب الأخرى ، فمن أنواع السحاب الأخرى العراض والنمرة والقزح والكنهور والنشاص والطخاء والرباب إلى غير ذلك^(٣) .

الرعد :

يقول القلقشندي إن الرعد حدوث هائل يسمع من السحاب ، ويكتفي بذلك ، ثم يروي بعض معتقدات العامة حوله ، حيث قيل إنه صوت أحد الملائكة ، وقيل إنه صوت الإمام علي (ع) ، ثم ينسب إلى بعض الفلاسفة قولهم إن الرعد هو دخان يتصاعد من الأرض ثم يدخل خلل السحاب ويبرد ،

(١) يتألف السحاب من تجمع عدد كبير من عناصر دقيقة هي في ذاتها قطيرات من الماء أو بلتورات من الثلج أو مزيج منها - د. و. بيرى - فيزياء السحب - ترجمة عزيز ميلاد - مصر ١٩٦١ ص ١ .

(٢) عن الفرق بين السحاب والغمام راجع مقالنا «تعقيب على تعريب» مجلة الأقدام - العدد الرابع السنة الرابعة - ١٩٦٧

(٣) أبو زيد الأنصاري - كتاب المطر (البلغة في شذور اللغة) - بيروت ١٩١٤ ص ١٠٩ - ١١١ .

ثم يصير رجياً ومجر كته ينتج صوتاً شديداً يطلق عليه الرعد ، وفي كتاب المطر للأنصاري معلومات جمة ومفيدة عن الرعد، فالارزام هو صوت الرعد غير الشديد أما الرجس والرجسان فهو صوت الرعد الثقيل ، والجلجلة صوت يتقلب في جنوب السحاب ، أما تتابع صوت الرعد في شدة فيقال له القعقعة . ويضيف الثعالبي أن الدوي هو صوت النحل والأذن والمطر والرعد ، والقصيف صوت الرعد والبحر وهدير الفحل ، وقد جعلها الثعالبي ضمن باب الأصوات المشتركة.

أما حقيقة الرعد من الناحية العلمية ، فيحدث نتيجة لوجود فروق حرارية بين الهواء الملاصق لسطح الأرض وطبقات الجو العليا ، ويتم ذلك إما بتسخين الهواء السطحي أو تبريد الهواء العلوي وأغلب ما تنشأ عواصف الرعد نتيجة لتسخين الهواء السطحي، أو نتيجة لموور تيار هوائي بارد تحت آخر ساخن رطب ودفعه إلى أعلى^(١) .

البرق :

يعرف القلقشندي البرق بأنه ضوء يرى من جوانب السحاب، ويسرد كذلك بعض معتقدات العامة ، من أنه يمثل ضحك ذلك الملك الذي يزجر السحاب ، وقيل إنه ضحك الإمام علي (ع) . وينقل عن بعض الحكماء قولهم إن البرق ناتج عن احتكاك الهواء بالدخان ، ويلاحظ على ما أورده القلقشندي من معلومات أنها مبتورة لا تفني بالمرام ، فنراه هنالم يفصل في الكلام على البرق ، ولم يرجع إلى كتب الأنواء كما فعل في مواضيع أخرى ، فالدينوري في كتابة الأنواء ، يعرض لنا معلومات طريفة وقيمة عن كيفية الاستدلال بالبرق ، فيذكر أن العرب « كانوا يسمون البرق فإذا لمعت سبعون برقة انتقلوا ولم يبعثوا رائداً لثقتهم بالمطر ، وإذا كان البرق عندهم وليفاً وثقوا بالمطر ، والوليف الذي يلمع

(١) إيفان راي ثابنيل - الجو وتقلباته - ترجمة محمد جمال الدين الفندي - مصر

لمعتين ، وإذا تتابع لمعانه كان نحيلاً للمطر^(١) . أما الأنصاري فقد فصل الكلام عن البرق وأسمائه ، فبرق الحلب هو الذي ليس فيه مطر ، وقالت العرب في الأمثال (إنما هو كبرق الحلب) أي السحاب الذي يومض برقه حتى يرجى مطره ثم يخلف وينقشع ، والوميض : الضعيف من البرق ، إلى غير ذلك من تفصيل وفوائد . أما من الناحية العلمية فالبرق عبارة عن تفريغ كهربائي بين الشحنات المختلفة في السحابة نفسها ، أو بين سحابة وأخرى قريبة منها أو حتى بين السحابة والأرض .

المطر :

ثم يأتي القلقشندي على ذكر المطر وكيف أنه يتصاعد من الأرض على شكل بخار نتيجة للحرارة ، فتعمل الرياح على جمعه فتسوقه حتى يتلاحق بعضه مع بعض ، فإذا ما وصل إلى طبقات الجو العليا الباردة تكاثف وصار ماءً فينزل إلى الأرض ويكثر المطر في فصول ويقل في أخرى . ثم ينقل القلقشندي ما ذكره الدينوري في كتاب الأنواء الكبير عن معنى النوء ، وكان من الأفضل له أن يفصل الكلام عن النوء في مقدمة المقالة ، لأن الرياح والسحاب والرعد والبرق وكل ما يدخل ضمن المناخ ، يندرج عند العرب في موضوع الأنواء . والنوء النجم إذا مال للمغيب والجمع أنواء ونوءان ، ويقال إن النوء هو سقوط نجم في المنازل في الغرب مع الفجر وطلوع رقبه وهو نجم آخر يقابله من ساعته في المشرق ، وقيل إنما سمي (نوء) ، لأنه إذا سقط الغارب ناء الطالع ، وذلك الطلوع هو النوء ، وبعضهم يجعل النوء السقوط كأنه من الأضداد . وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط من النجوم وقيل إلى الطالع منها . وقد جاء في الحديث الشريف (ثلاث من أمر الجاهلية : الطعن في الأنساب والنياحة والأنواء) وقيل إنما غلط النبي (ﷺ) فيها لأن العرب كانت تزعم أن ذلك المطر الذي

(١) الدينوري - كتاب الأنواء - ص ١٧٧ - ١٧٨ .

جاء بسقوط نجم هو فعل النجم ، وكانت تنسب الأمطار اليها^(١) . وقد رتب العرب نزول المطر وعدمه على أنواع الكواكب التي هي منازل القمر وجعلوا لكل منها نوءاً ينسب إليه ، وعددها (٢٨) نوءاً ، منها نوء الشرطين ونوء البطين ونوء الثريا ونوء الدبران وغيرها . أما ترتيب المطر فقد أورد القلقشندي ما ذكره ابن قتيبة في أن أول المطر الوسمي ثم الربيع ثم الصيف ثم الحميم ، أما عند الثعالبي فأول المطر الحريف ثم يأتي الوسمي فالربيع ثم الصيف ثم الحميم . ويلاحظ أن القلقشندي قد ترك الفصل الخاص بأسماء المطر وأوصافه في فقه اللغة ، ولم يشر إليه مع أنه ذو فائدة كبيرة^(٢) . أما الأنصاري فيذكر أن أول المطر الوسمي ثم الشتوي ثم الجبهة وهي آخر الشتوي وأول الصيف ثم الصرفة وهي فصل بين الصيف والشتي ، ثم الصيف ثم الحميم ، وكل مطر من الوسمي إلى الصيف ، ثم يورد الأنصاري بعد ذلك أسماء المطر فيأتيك بالفرائد والفوائد التي لم يذكرها الثعالبي أو الدينوري أو ابن قتيبة وغيرهم ممن اعتمد القلقشندي على كتبهم .

الثلج والبرد (الحالوب)

ثم يذكر القلقشندي أن الثلج ينزل كالقطن المندوف على أعالي الجبال ، وتذهب حرارة الشمس بعضاً منه ، أما في المناطق الباردة فيبقى الثلج على قمم الجبال طول أيام السنة . أما سبب تكوينه فينقل القلقشندي ما ذكره بعض الحكماء أنه بخار يتصاعد من الأرض إلى طبقات الجو العليا فيتكاثف على هذه الصورة (ثلج) نتيجة للانخفاض الكبير في درجات الحرارة . ويجعل الأنصاري الضريب والصقيع والجليد والثلج مترادفة ، لكنه يفرق بينها في زمن الحدوث ، فيقول إن الضريب والصقيع والجليد لا يكون إلا بالليل ، والثلج بالليل والنهار

(١) صباح محمود الحلبي ؛ الأمثال المناخية العربية - مجلة التراث الشعبي - العدد

التاسع السنة الأولى ١٩٧٠ ص ٢٦ .

(٢) الثعالبي - فقه اللغة ص ٤١١ - ٤١٣ .

في الغيم ، وهن لا يكن إلا في الصحو (١) . أما القزويني فيقول إنه إذا كان صعود البخار بالليل والهواء شديد البرودة منعه من الصعود وأجمده أولاً فصار سحاباً رقيقاً ، وإن كان البرد مفرطاً أجمد البخار في الغيم وكان ذلك ثلجاً فينزل إلى الأرض برفق فلا يكون له وقع شديد كما للمطر والبرد (الخالوب) (٢) .

أما البرد (الخالوب) فإنه لا يقع إلا في الخريف والربيع ، وأما سبب تكونه فيقول القلقشندي إنه بخار يتصاعد من الأرض ويرتفع في الهواء فلا تدركه البرودة حتى يجتمع قطرات مائية ، ثم تدركه حرارة من الجوانب فتتهزم برودتها إلى مواطنها فتتعدد برداً (أي تتجمد) . ويظهر من كلام القلقشندي أن هناك فرقاً في درجات الحرارة بين السحابة والوسط المحيط بها ، ولكنه يذكره بالعكس حيث إنه من الناحية العلمية الصحيحة ، تكون السحابة أسخن مما حولها فتنشأ تيارات حمل ، تحمل معها نقط الماء فوق المبرد المتكونة داخل السحابة إلى ارتفاعات شاهقة تنخفض فيها درجة الحرارة إلى القيم التي تسمح بتكون البرد (٣) . بينما قد أخطأ القلقشندي حيث جعل الوسط المحيط بالسحابة أسخن من السحابة نفسها . ويقال للبرد ، حب الغمام ، وحب المزن وحب قر (٤) .

الظواهر الضوئية (قوس قزح والهالة) : يقرب القلقشندي في تفسير هذه الظواهر الضوئية من التفسير العلمي لها ، وهو أن هذه الظواهر التي تشاهد حول الشمس أو القمر في السحب التي تتكون من بلورات الثلج ، ناتجة عن انكسار الضوء في تلك البلورات ذات الأشكال المنشورية السداسية التي تطفو في الهواء (٥) ويذكر القلقشندي أن (قزح) اسم للشيطان ولذلك يقال

(١) الأنصاري - كتاب المطر ص ١٠٥ .

(٢) القزويني - عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات - الباني الحلبي ١٩٥٦ ص ٦١ .

(٣) د. محمد جمال الدين الفندي - الطبيعة الجوية - مصر ١٩٦٤ ص ٢٠٠ وما بعدها .

(٤) ابن منظور - لسان العرب - مجلد ١ ، ٢ ، ٣ ، بيروت ١٩٥٥ ص ٢٩٣ .

(٥) فيزياء السحب ص ١٦٨ .

قوس الله ولا يقال قوس قزح . ويذكر ابن منظور أن دائرة القمر والشمس تسمى النداءة وهي حمرة تكون في الغيم إلى غروب الشمس أو طلوعها ، وفي التهذيب إلى جانب مغرب الشمس أو طلوعها^(١) .

طبائع الفصول الأربعة :

لقد اختلف العرب في تقسيم السنة إلى فصول وكذلك في تسميتها وترتيبها وتحديد أوقاتها . فأول الأزمنة عندهم الربيع ويسمى أيضاً الربيع الأول والعامية تسميه الحريف . أما الصيف فعامية الناس تسميه الربيع الثاني ، ثم القيظ الذي يسميه الناس الصيف .

وهناك من يقسم السنة إلى فصلين ، الشتاء والصيف ، ويقسم كل منها إلى ثلاثة أزمنة ، ويسمى كل زمن باسم الغيث الواقع فيه . فأزمنة الشتاء هي ، الوسمي ثم الشتاء ثم الربيع . أما الصيف فأزمنته ، الصيف (بتشديد الياء) ثم الحميم ثم الحريف^(٢) .

أما طبائع تلك الفصول، فيذكر القلقشندي أن فصل الربيع يتميز بجزارته ورطوبته لهبوب ريح الجنوب ، مما يؤدي إلى ذوبان الثلوج في أيامه . والعرب تسمي المطر الذي ينزل في الحريف (ربيعاً)^(٣) ، ويقال للأرض التي يصيبها الربيع (ربيعة)^(٤) .

أما الصيف فيتميز بجزارته وجفافه (يبوسته) ، وتهب فيه رياح الصبا ، وللعرب في هذا الفصل وغرات ، وتسمى الرياح التي في هذه الوغرات (بوارح) ،

(١) ابن منظور ص ١٦٦ وابن الأجداني ص ٨٧ ويقول الثعالبي (الهالة للقمر كالدائرة للشمس) ص ٤٨ .

(٢) ابن الأجداني ص ٩٦ - ٩٨ .

(٣) الدينوري ص ١٧٥ .

(٤) ابن منظور ص ١٥١ .

وهي الشمال الحارّة وتكون في الصيف . وقال الفراء ، البوارح الرياح الصيفية وسميت بذلك لأنها هي السموم التي تأتي من الشمال^(١) . وتسمى كذلك المؤتفكات ، وهي ذات عجاج^(٢) . ويذكر القلقشندي أنها سميت بذلك (بوارح) لأنها تأتي من يسار الكعبة كما يبرح الظبي إذا أتاك من يسارك ، وتقول العرب في أمثالها (نوءان شالا محقب وبارح) والحقب احتباس المطر ، ويضرب المثل به في قلة الخير^(٣) .

أما الخريف فيتميز ببرودته وجفاف هوائه وتهب فيه الرياح الشمالية . والخريف عند العرب المطر الذي يأتي في آخر القيظ ولا يكادون يجعلونه اسماً للزمان ، ويذكر الدينوري أن مطر الخريف يسمى ربيعاً وخريفاً وكذلك وسمياً لأنه يسم الأرض بالنبات ، وهو أول أمطار الخريف^(٤) ويظهر من كلام الدينوري أن الأمطار تسقط في فصل الخريف على عكس ما يذكره القلقشندي من أنه (بارد يابس) . وأما الشتاء فهو بارد رطب ، تهب فيه ريح الدبور ، وهي أقل الرياح هبوباً وتسمى الريح العقيم ، لأنها لا تستدر السحاب ولا تلقح الشجر . ويقال للمطر الذي يسقط في أيامه (الشتي) ويذكر الانصاري أن هبوب النكباء في أيام الشتاء أكثر . ومن رباحه أيضاً الحرجف والبليل .

الوصف المناخي في صبح الأعشى :

وفيما يتعلق بالوصف المناخي للأقاليم والمواقع الجغرافية في صبح الأعشى فإنه يمكن تدوين الملاحظات التالية :

١ - يتبين لنا من قراءة ما كتبه القلقشندي في موضوع المسالك والممالك ،

(١) المرزوقي ج ١ ص ٢١٧ - ابن الأجداني ص ١٣٥ .

(٢) الدينوري ص ٨٨ و ص ١٦٨ .

(٣) الحلبي - الأمثال المناخية العربية ص ٦٩ .

(٤) الدينوري ص ١٠٤ و ص ١١٢ - ١١٦ .

وما عرضه من مادة جغرافية تخص الاقاليم والمواقع الجغرافية ، أنه يندر أن يأتي القلقشندي بآراء جغرافية تخصه ، إلا فيما يخص مصر وبعلمات مختصرة لكونه أحد أبنائها . وإنك تجد في الصفحة الواحدة معلومات مقتبسة من مصادر جغرافية عدة ، وعلى الأخص كتاب مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري .

٢ - أما فيما يخص الوصف المناخي ، فإنه يأتي عابراً وضائعا بين الصفات الجغرافية والتاريخية الأخرى ، مثال ذلك قوله عن مصر (أعظم الاقاليم خطراً ، وأجلها قدراً ، وأفخمها مملكة ، وأطيبها تربة ، وأخفها ماء ، وأخصبها زرعاً ، وأحسنها ثماراً ، وأعد لها هواء ، وأطفها ساكناً)^(١) فيلاحظ هنا أن الصفة المناخية لمصر (الهواء المعتدل) جاءت محشورة مع بقية الصفات الأخرى ، وبدون تفصيل .

٣ - ثم إن القلقشندي قد يذكر الصفة المناخية لموقع جغرافي ، ويهمل الكثير من المواقع الأخرى بدون تبيان الحالة المناخية لها . ومن المواقع التي لم يذكر لها صفة مناخية بركة ومكران وطوران وصعدة وباديس وغير ذلك .

٤ - هناك مصطلحات مناخية غامضة لا تعطي فكرة واضحة عن الحالة المناخية للأقاليم ، كمصطلح الهواء الصحيح ، كصفة مناخية لغزة وحمص وكفر طاب وطرابلس ونيسابور وأغمات . وقد يطلق القلقشندي هذه الصفة (الصحيح) على التربة أيضاً بالإضافة الى الهواء ، كما في قوله عن كازرون من أعمال فارس عن ابن حوقل (وهي صحيحة التربة والهواء)^(٢) .

وبوضوح القلقشندي في مكان آخر هذا المصطلح في قوله عن كفر طاب (وأرضه صحيحة الهواء ومن سكنها لا يكاد يمرض)^(٣) ونستطيع أن نستنتج من

(١) صبح الأعشى - الجزء الثالث ص ٢٨١ .

(٢) المصدر السابق - الجزء الرابع ص ٣٤٥ .

(٣) المصدر السابق ص ١٢٥ .

هذا أن الهواء الصحيح هو الهواء المعتدل الطيب ، وقد ورد مصطلح الهواء المعتدل كصفة مناخية لمدينة صنعاء ، وكذلك الهند نقلاً عن العمري حيث يقول (وهي بلاد معتدلة لا تتفاوت حالات فصولها ، ليست مفرطة في حرّ ولا برد ، بل كأن أوقاتها ربيع ، وتهب بها الأهوية والنسيم اللطيف)^(١) .

أما مصطلح الهواء الطيب فقد ورد كصفة مناخية لمدينة الطائف ، وكما قلنا إن الهواء الطيب ، هو الهواء المعتدل ، ولكن القلقشندي يستدرك فيضيف - عن مدينة الطائف - قوله (إلا أنها شديدة البرد) ولا ندري لم هذا التناقض في ذكر الحالة المناخية. وقد يرد هذا المصطلح مرتباً بالهواء والتربة معاً ، فيقول عن مرو الروذ (وهي طيبة التربة والهواء) .

ه - أما المناطق التي تنصف بانخفاض في درجات الحرارة (باردة أو هوائية بارد) فتشمل القسم الأول من اليمن ، ومدينة تعز وحلب والطائف وتبريز وخوارزم وبلاد البلقان وتاهرت وجبل شكير في الأندلس وبلاد الروم (وخاصة أرمنك وسيواس) . ويلاحظ أن القلقشندي لم يبين السبب في كون تلك المناطق باردة ، ولكنه يذكر بعض الأحيان مظاهر شدة البرودة فيقول مثلاً عن الطائف (إلا أنها شديدة البرد حتى إنه ربما جمد الماء بها لشدة بردها)^(٢) . ويذكر عن بلاد خوارزم نقلاً عن ابن حوقل أنها (أبرد البلاد وفيها يبتدىء الجمود في نهر جيحون)^(٣) . أو يذكر عن بلاد البلقان أنها (ليس بها شيء من الفواكه ولا أشجار الفواكه لشدة بردها)^(٤) أو يذكر عن بلاد الصقالبة نقلاً عن العمري أنها (بلاد شديدة البرد لا يفارقها الثلج مدة ستة أشهر لا يزال يسقط على جبالهم

(١) المصدر السابق - الجزء الخامس ص ٦٨ .

(٢) المصدر السابق - الجزء الرابع ص ٢٥٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٥٢ .

(٤) المصدر السابق ص ٦٢ .

وبيوتهم) (١).

٦ - أما مصطلح الهواء اليابس فيقصد به الهواء الجاف (قليل الرطوبة) وقد ورد بصيغته هذه (الهواء اليابس) كصفة لهواء بلاد النوبة أسفل مصر ، ونجده يستعمل البيوسة مقابل الرطوبة في كلامه عن المحلة في مصر ومقارنتها بمدينة قوص ، وكذلك في المقارنة بين الوجه القبلي والوجه البحري فيقول (وهي أي المحلة) تعادل قوص من الوجه القبلي في جلالة قدرها ورياسة أهلها ، ويفرق بينها بما يفرق به بين الوجه القبلي والوجه البحري من الرطوبة والبيوسة (٢) ويرد القلقشندي على أحمد بن يعقوب الكاتب في كتابه المسالك والممالك والذي يقول عن مصر إنها (بين بحر رطب عفن كثير البخارات الرديئة « بحر الروم » وبين جبل وبر يابس صلد « صحراء ») فيصف القلقشندي كلام أحمد بن يعقوب بأنه (كلام متعصب خرق الإجماع ، وأتى من سخيف القول بما تنفر عنه القلوب وتجه الأسماع) (٣) ورد القلقشندي هذا في غير محله ، لأن حديث أحمد بن يعقوب صحيح من الناحية الجغرافية ، لأن مصر واقعة بالفعل بين البحر المتوسط (بحر الروم) في شمالها وبين الصحراء في جنوبها ، بل وتؤلف جزءاً كبيراً من أراضيها ، ثم إن كلام القلقشندي يتسم بالقسوة ولا يصدر إلا عن رجل يحمل ترة وموجدة على أحمد الكاتب لا نعرف تفسيراً له .

٧ - أما المناطق التي وصفت بشدة الحرارة فهي مدينة قوص وحماة وسيراف وزبيد (في اليمن) وعمان (على الخليج العربي) والمنصورة والديبل في بلاد السند ، وسجلهاسة وادغست ومالي والحبشة وزيلع في إفريقيا . ونرى هنا أيضاً أن القلقشندي لا يعطي تفسيراً لشدة الحرارة التي تتميز بها تلك المواقع والأقاليم

(١) المصدر السابق - الجزء الخامس ص ٤١٩

(٢) المصدر السابق - الجزء الثالث ص ٤٠٦

(٣) صبح الأعشى - الجزء الثالث ص ٢٨٢

إلا أنه يذكر عن حماة أنها (شديدة الحر محجوبة الهواء ويعرض لها في الخريف تغير تنسب به إلى الرخامة ، ولا يبقى بها الثلج إلى الصيف) فالقلقشندي يذكر هنا أن حماة شديدة الحرارة لكونها محجوبة عن الرياح الغربية الباردة ، مما يؤدي إلى ارتفاع نسبة الرطوبة (الرخامة) في الهواء في فصل الخريف . وارتفاع درجات الحرارة يؤدي بالطبع إلى ذوبان الثلج وإلى ذلك أشار القلقشندي أيضاً وبين لنا القلقشندي المدى الذي تصل إليه درجات الحرارة في ارتفاعها في كلامه عن زبيد في اليمن فيقول (وهي شديدة الحرارة لا يبرد ماؤها ولا هواؤها) .

٨ - ويذكر القلقشندي عن غرناطة في إسبانيا (أنها قليلة مهب الرياح ، لا تجري بها الرياح إلا نادراً لا كتفاف الجبال إياها) فيبين لنا هنا أن غرناطة تحيط بها الجبال من جميع الجهات مما يؤدي إلى عدم تعرضها لهبوب الرياح الشديدة ، إلا نادراً ، والتفسير الذين أورده القلقشندي يتميز بالعلمية والدقة .

أما مدينة دمشق فإنها مكشوفة الجوانب لممر الهواء ، إلا من الجهة الشمالية فإنها محجوبة بجبل قاسيون ، مما يؤدي إلى وجود الرطوبة (الرخامة) لأن جبل قاسيون يمنع توغل الرياح الباردة الشمالية ، ويعلق العمري في مسالكه على ذلك فيقول إنه لولا جبلها الغربي الملبس بالثلوج صيفاً وشتاء لكان أمرها في ذلك أشد ، وحال سكانها أشق^(١) .

وكذلك الحال في مدينة حماة ، فإنها محجوبة الهواء أيضاً ، وترتفع نسبة الرطوبة في الهواء في فصل الخريف ، مما يؤدي إلى ارتفاع ملحوظ في درجات الحرارة^(٢) .

أما المناطق التي تتميز بهبوب الرياح الشديدة ، فهي سجستان ، ويرجع السبب في ذلك إلى كون أرضها سهلية تتعادم فيها العوارض الطبيعية

(١) المصدر السابق - الجزء الرابع ص ٩٣

(٢) المصدر السابق ص ١٤٠

ولذلك فإن الرياح تسفّ الرمال من مكان إلى آخر. وكذلك منطقة انطاليا في تركيا، فيذكر القلقشندي عن ابن سعيد أن (ميناها غير مأمون في الأنواء) وانطاليا واقعة على الساحل الجنوبي لتركيا فتكون بذلك معرضة لمرور الرياح الغربية وما تحمله من انخفاضات جوية، فإن شدة الرياح وتوالي الأمطار ونظراً لكون الرياح الهابة تسير موازية للساحل التركي، يجعل ميناء انطاليا غير مأمون لرسو السفن كما يذكر القلقشندي.

١٠ - ومن خلال العرض الجغرافي لمنطقة الحجاز بين القلقشندي رأيه في تأثير البيئة الجغرافية (وخاصة المناخ) على السكان فيقول (إن هواء كل بلد يؤثر في أهله بحسب ما يقتضيه الهواء، ولذلك تجد لأهل كل بلد صفات وأحوالاً تخصهم)^(١). وهو الرأي نفسه الذي عرضه العلامة ابن خلدون في مقدمته في تأثير الهواء في ألوان البشر والكثير من أحوالهم، وفي أثر الهواء في أخلاق البشر^(٢) وقد تعصب لهذا الرأي الجغرافي الأمريكي هنتجتون، فقد أكد على تأثير المناخ تأثيراً مباشراً على طاقة الإنسان ومثابرتة عليه، وربط كذلك بين المناخ والصفات القومية كالشجاعة والإقدام، أو الجبن والخور في الإيجابية والسلبية، كما ربط بين المناخ والأديان ويطلق على هذا الرأي (نظرية الحتم الجغرافي)^(٣).

١١ - وفيما يتعلق بالمطر، فإن القلقشندي قد لا يذكر صراحة أن منطقة ما تسقط فيها الأمطار وإنما يمكن الاستدلال على ذلك من بعض الظواهر التي تتأثر بالمطر كالزراعة أو مياه السقي والشرب وما إلى ذلك. فيذكر مثلاً عن بلاد الشام قوله (أما زروعه فغالبا على المطر) فنستدل من هذا أن بلاد الشام تسقط عليها الأمطار، ولكنه لا يصرح، في أي فصل تسقط هذه الأمطار ومقدار

(١) المصدر السابق ص ٢٤٣

(٢) ابن خلدون - المقدمة - مطبعة الكشاف بيروت ص ٨٢ - ٨٧

(٣) د. محمد السيد غلاب - منابع المدينة لهنتجتون - تراث الإنسانية - المجلد

السادس - العدد الأول مصر ١٩٦٨ ص ٢٢ - ٣٧

كميتها . وكذلك منطقة الحجاز ، حيث يذكر أن زروعه (جميعها تزرع على المطر) . وأما مصر فيذكر عنها أنها (لا تزرع فيها على المطر إلا القليل النادر بأطراف البحيرة مما لا عبء به على قلة المطر بها ، بل فقد بصعدها)^(١) فيستنتج من هذا أن الزراعة في مصر لا تعتمد على الأمطار ، إلا القليل النادر منها ، وحتى هذه المناطق التي تعتمد على الأمطار في زراعتها لا يصيبها من المطر إلا القليل ، وأما منطقة الصعيد فإنها معدومة الأمطار .

أما النقطة الثانية التي يمكن الاستدلال منها على سقوط المطر في منطقة ما ، فمثلاً يذكر القلقشندي عن غزة أن (بها أمكنة يجتمع بها المطر) والرملة كذلك والقدس ، وهذا دليل غير مباشر على سقوط المطر . أما المناطق الصحراوية الجافة ، فيذكر القلقشندي أن شرب أهلها من ماء الآبار ، كما ذكر ذلك عن مدينة القيروان في تونس ، قال إنها (صحراء وشرب أهلها من ماء الآبار) ولكنه يأتي برأي آخر يناقض ما ذكره سابقاً نقلاً عن كتاب (العزيمي) للمهلي حيث يقول (وقال في العزيمي : من ماء المطر) أي أن شرب أهل مدينة القيروان من ماء المطر^(٢) ، وقد كتب عن هذه الناحية بوضوح أحمد بن واضح اليعقوبي (المتوفى سنة ٢٨٤ هـ) في كتاب البلدان فقال عن أهل القيروان إن (شربهم من المطر إذا كان الشتاء ووقعت الأمطار والسيول ، دَخَلَ ماء المطر من الأودية إلى برك عظام يقال لها المواجل فمنها شرب السقاة)^(٣) فاليعقوبي هنا يؤكد صحة قول المهلي في سقوط الأمطار على مدينة القيرون ، واعتماد أهلها في الشرب على ماء المطر .

١٢ - أما المناطق التي يكثر فيها سقوط المطر ، فهي بلاد مروان ضمن

(١) صبح الأعشى - الجزء الثالث ص ٣٠٨

(٢) المصدر السابق - الجزء الخامس ص ١٠١

(٣) اليعقوبي (أحمد بن واضح) - كتاب البلدان - تحقيق محمد صالح بحر العلوم -

النجف ١٩٥٧ ص ١٠٠

جبال الأكراد وطبرستان ومازندان وبلاد الروس واليمن وصنعاء وبلاد الروم ومنابع النيل . ولم يصرح القلقشندي في أي فصل تسقط تلك الأمطار وإنما يذكر أنها كثيرة فقط .

أما المناطق القليلة المطر فهي منطقة توزر في منطقة الجريد بتونس ومنطقة سجلماسة . إن القلقشندي قد يفصل في حديثه ، بعض الأحيان ، عن مناخ منطقة ما من ناحية الامطار ووقت سقوطها ، فيذكر عن اليمن أن المطر يأتي (في الغالب من وقت الزوال إلى أخريات النهار) أي تقريباً بعد الساعة الثانية عشرة ظهراً وحتى الغروب وهي أمطار مصدرها الرياح الموسمية الأطلسية عابرة قارة إفريقيا من الخليج الغيني في غرب القارة ، وهي أمطار صيفية كما نقل ذلك القلقشندي عن الحكيم صلاح الدين محمد بن البرهان حيث يقول إن (أكثر مطره في أخريات الربيع إلى وسط الصيف) .

أما بلاد الهند فيذكر القلقشندي نقلاً عن العمري في مسالك الأبصار أن الأمطار فيها تتوالى مدة أربعة أشهر ، وأكثرها في أخريات الربيع إلى مايليه من الصيف ، فهي أمطار موسمية ناتجة عن هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية من المحيط الهندي ، وتأتي قمة هذه الأمطار في أواخر الربيع وأوائل الصيف . أما مدينة أودغست فيذكر القلقشندي نقلاً عن المهلب في كتاب العزيزي ، أن أمطارها تأتي في فصل الصيف ولم يبين سبب ذلك . أما منطقة وفات الواقعة ضمن البلاد المقابلة لليمن في إفريقية على أعالي بحر القلزم (البحر الأحمر) ، أي منقطة ارتيريا والصومال ، فيشتد فيها سقوط المطر ليلاً ، نقل ذلك القلقشندي عن صاحب تقويم البلدان ، والذي أعتقده أن هذه المناطق ذات أمطار تصاعدية استوائية ، أو ذات أمطار موسمية مشابهة لأمطار اليمن ، حيث تسقط هذه الأمطار بغزارة بعد الزوال وحتى وقت الغروب أي بداية الليل .

١٣ - أما الثلوج فقد ورد ذكرها في منطقة جبل القمر حيث منابع النيل فإن لونه أبيض (لما غلب عليه من الثلج) ، والجبل الواقع في غرب مدينة دمشق

(الملبس بالثلوج صيفاً وشتاء) ، والجبل المطل على مدينة بانياس حيث الثلج (على رأسه كالعمامة لا يعدم منه شتاء ولا صيفاً) ، وحلوان حيث يسقط الثلج على جبلها دائماً وبدليس في أرمينيا وتبريز وبلاد مراكوان ضمن جبال الأكراد وبلخ حيث (تقع في نواحيها الثلوج) وتاهرت ، وجبل شكير في الأندلس حيث (لا ينفك عنه الثلج شتاء ولا صيفاً) وبلاد الصقالبة حيث (لا يفارقها الثلج مدة ستة أشهر لا يزال يسقط على جبالهم وبيوتهم) .

١٤ - أما البرد (الخالوب) فقد ورد ذكره في منطقة صنعاء وتاهرت فقط .

١٥ - وعن بلاد البلغار ، نقل القلقشندي ما ذكره السلطان عماد الدين صاحب حماة من (أن في أول الصيف لا يغيب الشفق عنها ويكون ليلاً في غاية القصر) و كيفية التثبت من صحة هذا الرأي بالأعمال الفلكية ، ثم ينقل مارواه العمري في المسالك عن الحسن الإربلي من أن أقصر ليلاً (بلاد البلغار) أربع ساعات ونصف وهو غاية نقصان الليل ، ولم يكتف القلقشندي بهذا ، وإنما أراد التأكيد على صحة ذلك ، فنقل عن حسن الرومي الذي سأل مسعوداً المؤقت بها فقال : جربناه بالآلات الرصدية فوجدناه كذلك تحريراً^(١) . والذي عرضه القلقشندي بالإضافة إلى طرافته وتأكيده عليه ، فإنه صحيح من الناحية العلمية ، ويسمى هذا الشفق الذي يبقى بعد مغيب الشمس بالفجر القطبي أو الأورورا ، ويكون على هيئة خيوط أو ستائر مضيئة تتدلى من السماء ، وتكون رؤيتها واضحة عند خطوط العرض التي تقارب خط عرض ٥٠ درجة شمالاً وبلاد البلغار تمتد بين خطي عرض ٤١ - ٤٤ درجة شمالاً ، فهي بهذا ضمن المناطق التي يظهر فيها الشفق القطبي واضحاً^(٢) مما يؤيد قول القلقشندي .

(١) صباح الأعشى - الجزء الرابع ص ٤٦٣

(٢) الدكتور محمد جمال الدين الفندي - الطبيعة الجوية - القاهرة ١٩٦٤

وقد ذكر ذلك أيضاً ابن فضلان في رحلته إلى بلاد البلغار حيث يقول (وإذا الشفق الأحمر الذي قبل المغيب ، لا يغيب بته ، وإذا الليل قليل الظلمة يعرف الرجل الرجل فيه من أكثر من غلوة سهم) (١) .

١٦ .. أما عن بلاد الروس ، فيذكر القلقشندي أنها في أقصى الشمال لا يفارقها الثلج والبرد ، وتتميز بكثرة الغيوم والمطر ، وقد ذكر مثل هذا عهد بن أحمد بن إياس في كتابه نشق الأزهار في عجائب الأقطار عن روسية فقال إن (بلادهم وخمة) (٢) أي رطبة لكثرة الغيوم والمطر . وذكر الإدريسي في الجزء الرابع من الإقليم السابع في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، أن (بلاد الروسية وبلاد فنارك وأرض طبست وأرض استلانده وأرض الجوس وهذه الأرضون أكثرها خلاء وبراري وقرى غامرة وثلوج دائمة) (٣) .

١٧ - ومن الملاحظات الجديرة بالذكر ، أن القلقشندي في كلامه عن الأقاليم والمواقع الجغرافية يذكر خطوط الطول والعرض لكل منها ، وقد لا يذكر ذلك فيقول « ولم يتحرر لي طولها وعرضها » وقد اعتمد في ذكر درجات الطول والعرض على كتاب القانون المسعودي لأبي الريحان البيروني ، وكتاب تقويم البلدان للملك المؤيد أبي الفداء إسماعيل بن علي الأيوبي وكتاب بسط الأرض في طولها وعرضها لأبي الحسن علي بن موسى المعروف بابن سعيد المغربي (٤) ، وغيرها من كتب البلدان والمسالك والممالك العربية الأخرى .

(١) ابن فضلان - رسالة ابن فضلان - تحقيق الدكتور سامي الدهان - دمشق

١٩٥٩ ص ١٢٥

(٢) أخبار أم الجوس (من الأرمانيين وورنك والروس) - نصوص جمعها المستشرق

الكسندر سيبل - أوصلو ١٩٢٨ ص ١١٣

(٣) المصدر السابق ص ١٣٦

(٤) يذكر الأستاذ نفيس أحمد ، أن كتاب ابن سعيد هو (كتاب الجغرافيا في

الأقاليم) راجع «op. cit» P. 46 .

١٨ - اتبع القلقشندي في بعض الأحيان طريقة المقارنة بين الأقاليم والمواقع الجغرافية وهذا أسلوب علمي مفيد جداً في الدراسات الجغرافية فقد ذكر عن (المحلة) في منطقة الوجه البحري بصر مقارنة إياها بقوص في منطقة الوجه القبلي فقال (ويفرق بينهما بما يفرق به بين الوجه القبلي والوجه البحري من الرطوبة واليبوسة) (١) ولما كان الوجه البحري أرطب من الوجه القبلي وأقل حرأ فإن مدينة المحلة أقل رطوبة وأقل حرأ من مدينة قوص . وذكر عن مدينة صنعاء أنها (لها شبه بدمشق لكثرة مياهها وأشجارها ، وهوأها معتدل وتتقارب فيها ساعات الشتاء والصيف) (٢) . فالقلقشندي يعقد هنا مقارنة بين صنعاء ودمشق ، فالأثنتان من الناحية المناخية تتصفان باعتدال الهواء وتتقارب ساعات الشتاء والصيف . ويشبهها في موضع آخر بمدينة بعلبك (لتماها الحسن وحسنها التمام وكثرة الفواكه ، تقع بها الأمطار والبرد « الحالوب ») (٣) فهو في القول الأخير يعقد مقارنة بين صنعاء وبعلبك اللتين تتصفان من الناحية المناخية بسقوط الأمطار والبرد .

وهناك مقارنة أخرى ذكرها القلقشندي بين توزر في منطقة الجريدبتونس ، وهي منطقة جافة ، وبين مصر ، قال (وبقلة المطر تشبه مصر) فمنطقة توزر ومصر تتميزان بالجفاف ، ومقارنة ثالثة بين منطقة شرحا وبالي من ناحية درجات الحرارة حيث إن منطقة بالي (أبرد هواءً من شرحا) ولم يبين القلقشندي تعليل ذلك .

صباح محمود الحلبي

(١) صبح الأعشى - الجزء الثالث ص ٤٠٦

(٢) المصدر السابق - الجزء الخامس ص ٣٩

(٣) صبح الأعشى - الجزء الخامس ص ٣٩